المسائل العقدية المستنبطة من قصة ذي القرنين[1]

د. محمد عبد الرحمن حبنكه الشهير بالميداني

أستاذ العقيدة المساعد – قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – جدة – المملكة العربية السعودية

maalmidani@kau.edu.sa

Doctrinal issues elicited from Dhul-Qarnayn's story

Dr. Mohammed Abdulrahman Habankah

Assistant professor of Doctrine, Department of Law and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University-Jeddah, Saudi Arabia

ملخص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد فهذه دراسة تحليلية للمسائل العقدية التي تضمنتها قصة ذي القرنين والواردة في سورة الكهف. وقد افتتحت بمقدمة وتمهيد اشتمل على ذكر الآيات الواردة في شأن ذي القرنين، ونبذة مختصرة عنه، وخمسة مطالب تناولت المسائل المتعلقة بمصادر تلقي العقيدة ودلائل النبوة وتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات واليوم الآخر والمعاد.

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي وخلصت إلى عدة نتائج، أهمها:

أن القصص القرآني حق قد أنزل للذكرى والعظة، وهو من أدلة صدق الرسول ﷺ، أن الله تعالى هو مسبب الأسباب وهو وحده المشرع، مشروعية الأخذ بالأسباب التي أذن الله تعالى بها، أن أول ما يبدأ به

Abstract:

This article aims to investigate the doctrinal issues elicited from Dhul-Qarnayn's story, stated in Surat Alkahf. The study is divided into an introduction, stating the Ayats related to Dhul-Qarnayn's story and five sections. Section 1 discusses the sources of getting our doctrine. Section 2 tackles evidence of Prophethood, the Allah's Oneness. Section 3 presents His only due worship. Section 4 addresses His Names and Attributes, and section 5 deals with the Hereafter. The study employs the inductive and analytical approach. It concludes with several findings including: the stories mentioned in the Holy Qur'an are true, and are revealed for good remembrance and admonition, and that Allah is the source of the Laws of the Universe. These stories convey evidence of Mohammed's (PBUH) Prophethood. They also indicate that Allah is the only Legislator of every single phenomenon in the Universe. Therebefore, the first duty a scholar of Dawah should do is pinpoint Allah's Oneness and that He is the only one we ought to worship.

[1] تاريخ الاستلام: ١٨ / ٩ / ٢٠٢٣، تاريخ القبول: ٧ / ١٠ / ٢٠٢٣

الداعي هو الدعوة لتوحيد الله تعالى فهو مفتاح الجنة ومن ثم يجب الالتزام بالعمل الصالح، وأن الشرك ظلم عظيم، أن النعم كلها بفضل الله تعالى، إثبات الصفات لله تعالى على ما يليق به سبحانه

الكلمات المفتاحية: ذو القرنين، مسائل عقدية، الأسباب، التوحيد، التشريع، الصفات، النعم.

Keywords: Dhul-Qarnayn, doctrinal issues, Laws of the Universe, Allah's Oneness, Sharia, Allah's Attributes, blisses.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد :

فإن الله تعالى قد أنزل على نبيه محمد ﷺ كتابه القرآن الكريم، الذي جعله مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه، وأودعه العقائد التي يجب على المؤمن أن يوقن بها، والأحكام الشرعية التي يحتاج الناس إليها، فإذا آمنوا وأقاموا شرع الله تعالى فازوا بسعادة الدارين.

وأيد سبحانه ما أنزله بالأدلة والبراهين التي ضمنها كتابه الكريم، وخاطب بها العقل والوجدان، وشفعها أخبارا يقينية من قصص السابقين لتكون دليلا على صدق الرسول ﷺ أن هذا الكتاب الذي جاء به حق وصدق من عند الله تبارك وتعالى، ولتكون كذلك عبرة وعظة ومنهجا قويما لمن أصغى إليها وتدبرها وفهم مراميها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف.

ومن القصص التي وردت في كتاب الله عز وجل قصة ذي القرنين التي وردت في أواخر سورة الكهف.

وقصة ذي القرنين تضمنت بيان مسائل عقدية عدة، ومسائل دعوية ومنهجية، من يتدبرها فإنه يستنبط منها ما يرسخ إيمانه ويقوم سلوكه.

وهذا البحث يعني باستنباط المسائل العقدية الإيمانية من خلال الآيات الواردة في سورة الكهف عن ذي القرنين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتمثل أهمية البحث في:

١. أنه يتناول إحدى قصص القرآن الكريم التي أوردها الله تعالى في معرض الرد على تحدي المشركين وسؤالهم، وفيها كثير من الدروس والعبر والفوائد، وأهم هذه الدروس هي ما احتوت عليه من مسائل تتعلق بقضايا العقيدة.

٢. أهمية العقيدة في حياة المسلم واهتمام القرآن في تقريرها بشتى الوسائل ومنها القصص القرآني.

٣. إن على الدعاة إلى الله تعالى الاهتداء بأساليب الدعوة وردت في القصص القرآني كقصة ذي القرنين والاستفادة منها في مسيرتهم الدعوية.

أهداف البحث:

يهدف هذه البحث إلى:

١- التعريف بذي القرنين من خلال ما ورد من قصته في سورة الكهف.

٢- استنباط وشرح وتحليل ما ورد في القصة من المسائل العقدية.

٣- بيان أهمية التزام الداعي إلى الله تعالى بالجانب العقدي في دعوته، إذ هي الأساس الذي يصحح فكر الإنسان ومن ثم يصلح عمله.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي ، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

١- استخراج المسائل العقدية الواردة في الآيات التي تحدثت عن قصة ذي القرنين حسب ما وردت فيها المسائل العقدية.

٢- تفسير الآيات التي وردت فيها المسائل العقدية المفردات والمعاني.

٣- بالنسبة للآيات الكريمة سيتم نسخها من ملف خاص بالكتابة العثمانية للقرآن الكريم، مع بيان رقم الآية، والعزو للسورة.

٤- بالنسبة للأحاديث الشريفة سيتم تخريجها من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما يكتفى بهما تخريجا وتصحيحا.

الدراسات السابقة:

هناك عدة رسائل علمية وبحوث محكمة تناولت قصة ذي القرنين من جوانب مختلفة من أهمها:

١. آيات قصة ذي القرنين- دراسة تحليلية — د. عماد محمود عبد الكريم، بحث محكم مجلة كلية أصول الدين بالمنوفية، العدد ٣٨، ٢٠١٩م.

٢. علوم الأرض وقراءة مختلفة لقصــة ذي القرنين في القرآن الكريم د.أسماء الفراج الكتبي، أ. ســارة خوري، من أبحاث المؤتمر العالمي الســابع للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والســنة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٤م.

٣. فتنة الجاه والسلطان في سورة الكهف من خلال قصة ذي القرنين دراسة موضوعية، د. عريبي سلمان، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٤٦، المجلد ٣، ٢٠٠٢م.

٤. مبادئ إدارة الجودة الشاملة في القصص القرآني قصة ذي القرنين نموذجاً، أحمد كرم، ضمن بحوث المؤتمر العربي الدولي لضمان جودة التعليم جامعة الزرقاء، محكم.

٥. جماليات السرد القرآن في قصة ذي القرنين، دراسة سيميائية، د. أسامة عبد العزيز جاب الله ، بحث منشور في مجلة علوم إنسانية، العدد ٤٥، عام ٢٠١٠م.

٦. المضامين الإدارية المستوحاة من قصة ذي القرنين، د. نبيل شعت، مجلة جامعة الناصر، العدد ٣، عام ٢٠١٤م.

٧. قصة ذي القرنين دراسة تحليلية، محمد عبد الرحمن مفتاح، مجلة الاطروحة للعلوم الإنسانية، السنة ٦، العدد ٣، ٢٠٢١م.

٨. المعالم القيادة في قصة ذي القرنين، علي محمد علوان، مجلة التأصيل، العدد ٥، ١٩٩٧م.

٩. المضامين التربوية في قصة ذي القرنين، مصطفى رجل، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد ٥٣، ١٩٩٧م.

١٠. مقومات الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين، علي عبد الكريم شهوان، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مجلد ٣٣، العدد ١١٢، سنة ٢٠١٨م.

١١. أسس القيادة والإدارة في ضوء قصة ذي القرنين، السيد حامد، مجلة حراء، العدد ٣٥، عام ٢٠١٣م.

١٢. بلاغة القرآن الكريم من خلال قصة ذي القرنين، عبد الصبور السيد، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر العدد ٣٣، عام ٢٠١٨م.

وبالنظر إلى الدراسات السابقة ومحتوياتها فلم تتناول أي دراسة الجانب العقدي في هذه القصة، وهذا ما تناولته هذه الدراسة التحليلية للمسائل العقدية الواردة في القصة.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ،وأهدافه ، ومنهجه والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه:

أولا: ذكر الآيات الواردة في شأن قصة ذي القرنين في سورة الكهف.

ثانيا: نبذة يسيرة عن ذي القرنين.

المطلب الأول: المسائل المتعلقة بمصدر تلقي العقيدة ودلائل النبوة.

المطلب الثاني: المسائل المتعلقة بالربوبية والقدر.

المطلب الثالث: المسائل المتعلقة بالألوهية والعبادة.

المطلب الرابع: المسائل المتعلقة بالأسماء والصفات.

المطلب الخامس: المسائل المتعلقة باليوم والآخر والمعاد.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

وأسأله تعالى المعونة والتوفيق.

تمهيد:

أولا: الآيات الواردة في شأن قصة ذي القرنين في سورة الكهف:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى
ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى
عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن
ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً نُّكْراً ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسراً ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ
قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ
بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ
فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ
ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً
﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقاً ﴿٩٨﴾﴾ الكهف.

ثانيا: نبذة عن ذي القرنين:

ورد في كتب التفسير والتاريخ أقوال عدة في ذكر من هو (ذو القرنين)، وفي ذكر تاريخه، وسبب تسميته بذلك، وليس من هدف هذا البحث الاستقصاء في الدراسة التفصيلية التاريخية لشخصية ذي القرنين، وسيتم الاكتفاء بذكر أشهر النقاط حوله:

١- وجد في الزمان الأول قبل مبعث الرسول محمد ﷺ بمدة طويلة.

٢- كان مَلِكًا مؤمنا بالله حقا صالحا عادلا.

٣- قام بنشر دين الله تعالى الحق في أرجاء الأرض.

٤- مَكَّن الله تعالى له في الأرض وأمده من أسباب القوة والنصر ما فاق به أهل زمانه، وقام هو بالاستفادة منه في سبيل نشر دعوة الحق.

٥- قام ببناء سد حجز من خلفه قوم يأجوج ومأجوج عن الانطلاق والإفساد في الأرض.

٦- توجد أقوال عدة في سبب تسميته بذي القرنين.

٧- يوجد اختلاف حول هل كان مجرد ملك صالح ملهم أم كان معه نبي أم غير ذلك [1].

المطلب الأول: المسائل المتعلقة بمصدر تلقي العقيدة ودلائل النبوة.

المسألة الأولى: إن طريق معرفة الغيب هو الوحي.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

ذكر أهل التفسير في بيان من سأل الرسول ﷺ روايات، منها: أن الذين سألوا الرسول ﷺ عن ذي القرنين وعن أمور أخرى إنما هم من كفار قريش، وأنهم كانوا قد طلبوا من أهل الكتاب من يهود المدينة أمورا يسألونها رسول الله ﷺ، يختبرون من خلالها صدق النبي ﷺ، وأن اليهود أشاروا عليهم أن يسألوه ﷺ عن مسائل منها: سؤاله ﷺ عن هذه الشخصية [2].

ثم إن الرسول ﷺ عندما سئل عن ذي القرنين أمره تعالى أن يقول لهم: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم﴾، وذكر أهل التفسير أن معنى قوله تعالى: ﴿سَأَتْلُوا۟﴾:

- (سأقص عليكم منه خبرا) [3].
- (﴿سَأَتْلُوا۟﴾ معناه: سأفعل هذا إن وفقني الله تعالى عليه وأنزل فيه وحيا وأخبرني عن كيفية تلك الحال) [4].
- (قوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: سأتلو عليكم أيها السائلون من ذي القرنين خبرا، وذلك بطريق الوحي المتلو) [5].

وفي كتب اللغة: (تلا يتلو تلاوة يعني: قرأ قراءة)[٦].

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ومن ثم فعندما يتلو فمعنى ذلك أنه تلا أمرا قد قُرِئ عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ القيامة.

فالمؤمن يعتقد جازما أن جميع الأخبار الصحيحة عن الأنبياء عليهم السلام أو عن الأمم والشخصيات السابقة؛ إنما مصدرها الوحي الرباني، لأنها من الغيب الماضي، والغيب لله تعالى وحده، وهو سبحانه يخبر بما شاء منها نبيه ﷺ عن طريق الوحي، وما ورد منها في كتاب الله تعالى يتلوه الرسول ﷺ ويبلغه عن الله تعالى.

إن عالم الغيب سبحانه وتعالى لا يظهر على غيبه أحدًا، إلا إن اقتضت حكمته إخبار من ارتضى من رسول، فيخبره بما شاء، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ الجن.

وقد بيّن جل جلاله في أكثر من موضع من كتابه الكريم أن ما جاء به الرسول ﷺ من أخبار السابقين؛ لم يكن له علم بها، بل كانت غيبا أوحاه الله تعالى إليه وأخبره به، وأنزله في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ هود.

وقال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ آل عمران.

وقال تبارك اسمه: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ يوسف.

وقال جل جلاله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾ القصص.

ففي هذه الآيات يخبر تعالى رسوله ﷺ ومن وراءه –جميع أمة الدعوة– أنه ﷺ لم يكن لديه علم بقصص السابقين، وأن ما جاء به إنما هو وحي من الله تعالى إليه، أمره سبحانه أن يبلغه للناس[٧].

المسألة الثانية: أخبار الغيب الواردة في كتاب الله تعالى ومنها قصص السابقين هي أخبار حق وصدق.

هذه المسألة العقدية مبنية على المسألة الأولى السابقة. فقد ورد في كتاب الله عز وجل العديد من أخبار السابقين، فبالإضافة لأخبار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم؛ هنالك عدد من الأخبار التي وردت في شأن من سبق من أمم وشخصيات، كقصة سبأ وأصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وغيرها، وهي في عقيدة المؤمن مثلها في قطعية الوقوع مثل قصص الأنبياء عليهم السلام، فليس شيء منها قصصا خيالية لم تقع فعلا، وجميعها يشملها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ يوسف.

والقارئ المتدبر لقصة ذي القرنين الواردة في سورة الكهف يدرك بوضوح أنها تتحدث عن شخصية حقيقية، أبان تعالى أن رسوله ﷺ سيتلو على الناس من قصته ما يكون لهم ذكرا، ويخبر تبارك اسمه أنه مكّن له في الأرض، وأنه أعطاه سبحانه من أسباب القوة، وأن ذا القرنين انطلق مغربا حتى وصل لنقطة محددة تغرب فيها الشمس في عين الناظر في عين حمئة، وأن ذا القرنين -كذلك- انطلق إلى المشرق حتى وصل لنقطة محددة ليس بين سكانها وبين الشمس ما يسترهم عنها، ووصل بعد ذلك إلى نقطة محددة بين جبلين عظيمين، ووجد عندها أناسًا لا يفقهون قولا، فلو كانت قصة ذي القرنين مجرد قصة رمزية؛ لكان تحديد تلك النقاط بتلك الصورة التي وردت في كتاب الله تعالى لا تُعَبِّر عن واقع حقّ، وهي عندئذ ستدخل ضمن عموم الخبر الكاذب -عياذا بالله تعالى-، وهذا لا يمكن أن يقوله أو يعتقده مَن في قلبه ذرة إيمان بالله تعالى وكتابه.

وإن قيل: إن البحوث والدراسات الإنسانية كبحوث الآثار وغيرها لم تثبت كثيرا من تلك القصص؛ فالجواب: أن البحوث والدراسات الإنسانية المذكورة لا يمكن لمدَّعٍ أن يدعي أنها لم تدع قصة مرت على البشرية إلا وتناولتها، بل هي في الحقيقة لم تصل إلا للنادر اليسير من أخبار وأحداث البشرية، هذا إن لم يتم التشكيك في بعض ما ورد من تلك الآثار المكتشفة من حيث محتواها التاريخي.

ويلاحظ أيضا: أنه بالنسبة للأنبياء والرسل عليهم السلام وللصالحين؛ فقد لا يكون لهم اهتمام بتسجيل أعمالهم ونصر الله تعالى لهم على أحجار أو جدران أو نحوها، فالله تعالى قد بين ما أراده من ذلك في كتبه المنزلة، بالإضافة إلى أن الهدف الأسمى لهم ليس هو تسجيل انتصارهم الدنيوي بل هو العمل على مرضاة الله تعالى، وهذا متحقق من غير أن يسجلوا ذلك على أحجار أو جدران أو نحوها.

ويضاف لما سبق: أن أعداء الأنبياء والرسل والصالحين لا يُتَصَوّر أن يسجلوا –أو ذراريهم الذين ساروا على طريقهم– أنهم قد هزمهم الله تعالى على يد أنبيائه وعباده الصالحين، هذا بالنسبة لمن بقيت لهم بقية من غير المؤمنين، بل حتى لو عادت الغلبة بعد مدة لغير المؤمنين، وكانوا أحفادا لأولئك المنهزمين؛ فلا يُتَصَوّر أن يسجلوا للتاريخ انتصار أنبياء الله تعالى والصالحين من عباده، بل سيعملون على إخفاء أي حقيقة تتعلق بأنبياء الله تعالى وعباده الصالحين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، إذ هي حقائق يكرهونها وسيعملون على طمسها بأية صورة، ولنا في العصور المتأخرة أمثلة كثيرة على حقائق عمل الكثير من أعدائها على طمسها، وليس هذا موضع التوسع في شأنها.

وملاحظة تضاف لما سبق وهي: وجود تناقض فكري نجده عند بعض من يزعم أن القصص القرآني إنما هو رمزي لأمثلة، ولكنه ليس قصصا قد وقعت حقيقة، أو يكذب بتلك القصص مطلقا، كل ذلك بناء على عدم وجود ما يشهد لتلك القصص من خلال الآثار المسجلة على الجدران والأحجار أو نحوها، ثم إن وجدوا في بعض الآثار من الأحجار ونحوها من كتابات للأقدمين ما يشابه قصة وردت في كتاب الله تعالى، كقصة الطوفان، جاء مَن يزعم منهم أن القرآن الكريم قد اعتمد في قصصه على أساطير الأولين!!!، فأي تناقض فكري بعد هذا التناقض؟!. هذا مع العلم أن الله تعالى قد ذكر في كتابه الكريم أنه ما من أمة إلا وقد جاءها نذير من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ فاطر.

وذكر جل جلاله أن كتابه الكريم قد ورد ذكره في الكتب السابقة التي أنزلها، قال تبارك اسمه عن كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الشعراء.

﴿زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: الكتب السابقة[٨].

وكما أن ذكر القرآن الكريم قد ورد في كتب ربانية سابقة؛ فلا شك أن مما ورد فيه من أخبار قد ورد –جميعه أو بعضه– في تلك الكتب الربانية السابقة، أو على لسان بعض الأنبياء السابقين[٩]، وقد بيّن تعالى أن مما ورد في كتابه قد ورد في الصحف السابقة التي أنزلها، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ الأعلى.

وكذلك نجد أنه تبارك اسمه ذكر على لسان مؤمن آل فرعون تذكيره لقومه بقصص الأقوام السابقة الذين أهلكهم بسبب كفرهم بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ غافر.

ونحو ذلك على لسان الأنبياء عليهم السلام عندما كانوا يذكرون أقوامهم بما حصل للسابقين ممن كفروا بالله سبحانه وحاربوا أنبياءه ورسله عليهم السلام وما حل عليهم من عذاب الله تعالى.

فمجيء بعض قصص القرآن الكريم في بعض آثار السابقين ليس مستغربا إذ هو من آثار نبوة سابقة، هذا مع وجود تحريف فيه عن الحق المنزل، جاء الحق في شأنه في كتاب الله تعالى.

والخلاصة أن المؤمن الحق: يوقن أن ما ورد في كتاب الله تعالى من قصص الأنبياء وقصص السابقين، ومنها قصة ذي القرنين، إنما هي حق وقع فعلا.

المسألة الثالثة: أن ما ورد في كتاب الله تعالى من قصص الأنبياء وقصص السابقين؛ هو من أدلة صدق الرسول ﷺ في نبوته.

هذه المسألة العقدية مبنية على المسألتين الأولى والثانية السابقتين. فالقارئ لقصة ذي القرنين في سورة الكهف يجد أنها افتتحت بقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴿٨٣﴾﴾ الكهف.

ثم أورد تعالى في السورة طرفا من قصة ذي القرنين، جوابا لسؤال مَن سأل، وفي هذا دلالة على أنه: إما السائل أو مَن وراءه ممّن دفعه لهذا السؤال؛ قد كان عندهم ولو بعضا من خبر ذي القرنين، وقد سبق أن السؤال عنه -بحسب ما ورد في بعض الروايات-قد كان اختبارا للرسول ﷺ، لإظهار هل هو صادق في نبوته أم لا[١٠].

فلو قُدِّر أن ما ذكره القرآن الكريم ونقله الرسول ﷺ فيه شيء من عدم الصحة؛ لسارع إما السائل أو مَن وراءه ممن يختبر صدق الرسول ﷺ فيما ذكره من نبوته، أو حتى لسارع مَن كان في عصر الرسول ﷺ ممّن عندهم شيء من العلم بقصة ذي القرنين؛ -لسارعوا إلى الإعلان عن عدم صحة ما ورد في القرآن الكريم حول قصة ذي القرنين، أو حول بعض ما ورد في شأنها، ولكن لم ترد أية رواية عن أهل الكتاب أو غيرهم يكذبون فيها ما ورد في القرآن الكريم حول قصة ذي القرنين، أو بعض ما ورد في شأنها. مع حرص المنكرين لنبوة الرسول ﷺ على تكذيبه بأساليب شتى.

فإجابته ﷺ عن السؤال عن ذي القرنين -حسب ما ورد في بداية قصة ذي القرنين-، ونسبته ﷺ ما ذكره لله تعالى، وعدم وجود مَن كذّب بما ورد عن قصة ذي القرنين، مع وجود روايات تدل على أن السؤال عنه كان اختبارا لصدقه ﷺ؛ كل ذلك يعتبر من أدلة صدقه ﷺ في نبوته، وهذا الدليل هو: إخباره ﷺ عن مغيبات لا يعلمها إلا الله تعالى، ومِن ثمّ مَن أعلمه الله تعالى مِن أنبيائه ورسله عليهم السلام.

وبصفة عامة فإن جميع أخبار الغيب عن الأمم الماضية والأنبياء السابقين؛ هي من دلائل صدقه ﷺ، إذ هو ﷺ قد نشأ في مكة لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يتعلم على يد بشر، ولم تكن تلك الأخبار معروفة في قومه بمثل ما ورد في القرآن الكريم، وكثير منها لم يكن معروفا لديهم مطلقا، ولم يعاشر ﷺ قبل نبوته غير قومه، وهذا ما بينته الآيات القرآنية في مواضع عدة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَٰفِرِينَ﴿٨٦﴾﴾ القصص.

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذاً لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴿٤٨﴾﴾ العنكبوت.

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴿٤٩﴾﴾ هود.

فالله تعالى أبان أن الرسول ﷺ قبل نبوته، وكذلك قومه؛ ما كانوا يعلمون أخبار الغيب عن الأمم السابقة، والتي أوحى الله تبارك اسمه إلى رسوله ﷺ خبرها بعد نبوته، وما ورد في الآيات من التأكيد على أن قومه ﷺ ما كانوا يعلمون تلك الأنباء؛ فيه إشارة إلى أنه ﷺ ما عاشر غير قومه، وإلا لو كان معروفا عنه أنه عاشر غير قومه؛ لتمسك بذلك قومه –الذين كذبوه– غاية التمسك، ولما تخبطوا في إلقاء الاتهامات جزافا عليه ﷺ، كاتهامه بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون، ومن تلك الاتهامات التي أطلقوها من باب التخبط والتنويع: أن ما جاء به من أخبار الغيب الماضية هي من أساطير الأولين، تعلّمها أو ألقيت إليه أو أخبر بها وأعين عليها، وحتى عندما زعموا وجود من ألقى للرسول ﷺ بالأخبار؛ فإما أن يذكروا ذلك عموما دون تحديد شخص معين، وربما حاول بعضهم البحث عن شخص ينسبون له أنه هو مَن ألقى للنبي ﷺ بتلك الأخبار، فلم يجدوا أمامهم سوى أعجميا لا يحسن العربية، وفي المقابل فإن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير اللغة العربية، وما جاء به من الأخبار مع دلالته على صدقه ﷺ من حيث كونه أخبارا غيبية؛ فهو كذلك يدل على صدقه من حيث بلاغته التي فاقت بلاغة العرب، ولم يرد عن العرب الفصحاء في زمن النبي ﷺ ما يحط من عظم بلاغة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴿١٠٣﴾﴾ النحل.

ثم إن المتدبر للقصص القرآني إذا قارنه بما ورد من القصص المشابه له لدى أهل الكتاب؛ يجد أن القرآن الكريم قد أورد القصة على أكمل صورة وأحسنها، بما يتلاءم مع جلال الله تعالى وعظمته، وبما يتلاءم أيضا مع مكانة الرسل عليهم السلام وعصمتهم، ومن هنا يستنتج المتدبر أن القرآن الكريم قد صحح كثيرا من

الأخطاء والافتراءات التي يرفضها المؤمن بالله تعالى وأنبيائه حقا، بل وحتى إن العقل السليم قد يرفض بعضها ابتداء، وهي افتراءات أدخلها أهل الكتاب في قصص الأنبياء وأخبارهم بعد أن انحرفوا عن منهج الله سبحانه وصراطه.

وهنا يكون السؤال: من أين أتى الرسول ﷺ بهذا البيان الصحيح لقصص الأنبياء عليهم السلام بعد أن حُرِّفت وعم النص المحَرَّف وضاع الأصل الصحيح؟

إن من يتدبر أية قصة وردت في القرآن الكريم، ولها ورود في كتب أهل الكتاب، ويزن كلا منهما بميزان الشرع الصحيح والعقل السليم؛ يحكم بصدق ما ورد في كتاب الله تعالى، والتحريف الذي حصل للكتب الربانية السابقة على يدي من أنزلت إليهم (١١).

المسألة الرابعة: القصص القرآني أنزل ليكون ذكرا للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ الكهف.

إن المؤمن الذي يقرأ أو يستمع إلى القصص القرآني فإنه يعتقد جازما، أن ما ورد من القصص في كتاب الله تعالى لم ينزل لمجرد أن يكون أخبارا تاريخية نطلع عليها ونعرفها كأي خبر تاريخي، بل إنما ذكرت القصص في كتاب الله تعالى لتكون ذكرا للمؤمن في مسيرة حياته.

سمّى الله تبارك اسمه كتابه القرآن الكريم بـ: ﴿ٱلذِّكْرَ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ الحجر.

﴿ٱلذِّكْرَ﴾ في الآية هو: القرآن الكريم(١٢).

وقد ذكر المفسرون أن من أسباب تسمية القرآن الكريم بـ: ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ أنه: (ذكر من الله جل ذكره، ذكّر به عباده، فعرّفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه)(١٣).

وفي سورة الكهف عند إيراد خبر ذي القرنين بيّن تعالى أن ما سيتلى مِن خبره إنما هو ذكر للعباد، أي أنه تعالى سيورد مِن خبره ما يجب على العباد أن يؤمنوا به حقا وأنه ذكر لهم، يتدبرون ويتفكرون بما سيخبرهم به تعالى من شأنه من أحوال وبيانات دينية ودنيوية محمودة ومشروعة، وما في قصته مِن حِكَم وعبر وعظات وعقائد ومنهاج حياة، ومن ثم يستذكرون ذلك الذي آمنوا به وتدبروه في مسيرة حياتهم فينتفعون به.

•(وجعل خبر ذي القرنين تلاوة وذكرًا للإشارة إلى أن المهم من أخباره ما فيه تذكير، وما يصلح لأن يكون تلاوة حسب شأن القرآن، فإنه يتلى لأجل الذكر، ولا يُساق مساق القصص، وقوله: ﴿... مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ -الكهف- تنبيه على أن أحواله وأخباره كثيرة، وأنهم إنما يُهِمّهم بعض أحواله المفيدة ذكرا وعظة...)(١٤).

المطلب الثاني: المسائل المتعلقة بالربوبية والقدر.

المسألة الأولى: الله عز وجل خالق كل شيء وخالق الأسباب ومسبباتها[15]، ومقدر المقادير.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾﴾ الكهف.

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴿٩٠﴾﴾ الكهف.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾﴾ الكهف.

يدل على أن التمكين في الأرض لذي القرنين، وتيسير الأسباب له؛ إنما هو بخلق الله تعالى وتقديره ومعونته جل جلاله، فلا شيء في الكون إلا هو مخلوق لله تعالى مربوب له سبحانه، قد شاءه جل شأنه وقدره وكتبه وخلقه بعلمه وإرادته وقدرته جل جلاله.

ومن أقوال المفسرين في معنى الآية: •(فقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أقْدَرْناه بما مهدنا له من الأسباب، فجعلنا له مُكْنَة وقدرة على التصرف فيها، وسهل عليه المسير في مواضعها، وذلل له طرقها حتى تمكن منها أين شاء وكيف شاء)[16].

•(﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يتعلق بمطلوبه، ﴿سَبَبًا﴾ أي: طريقا يتوصل بها إلى ما يريده)[17].

•(ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قالوا: السبب في أصل اللغة: عبارة عن الحبل، ثم استعير لكل ما يُتَوَصَّل به إلى المقصود، وهو يتناول: العلم والقدرة والآلة، فقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ معناه: أعطيناه من كل شيء من الأمور التي يتوصل بها إلى تحصيل ذلك الشيء)[18].

•(﴿...وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴿٨٥﴾﴾ فالمعنى: آتاه الله من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحدا من تلك الأسباب)[19].

•(والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها)[20].

•(أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه؛ ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران...)[21].

•(وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم[22]، وراجعهم وراجعوه)[23].

وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴿٩٠﴾﴾ الكهف.

في هذه الآية نسب سبحانه عدم وجود الستر لأولئك القوم له تبارك اسمه فقال: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم﴾، وهذا تحقيق وتأكيد لأن كل شيء في الكون هو بإرادته ومشيئته وعلمه وقدرته وخلقه جل جلاله[٢٤].

ومن أقوال المفسرين في معنى الآية:

•(﴿...وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾ أي: ليس لهم بناء يُكِنّهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حرّ الشمس)[٢٥].

•(وجد قوما تطلع عليهم الشمس لا يسترهم من حرها، أي: لا جبل فيها يستظلون بظله ولا شجر فيها، فهي أرض مكشوفة للشمس، ويجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا قوما عراة، فكانوا يتقون شعاع الشمس في الكهوف...)[٢٦].

ففي الآيتين الكريمتين -كما سبق-:

إثبات أن الله تعالى خالق كل شيء ومقدر كل شيء بعلمه وحكمته وإرادته وقدرته جل جلاله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴿٦٢﴾﴾ الزمر.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴿٩٦﴾﴾ الصافات.

وقال جل جلاله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيراً﴿٢﴾﴾ الفرقان.

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴿٤٩﴾﴾ القمر.

ويلاحظ في قوله تعالى: ﴿...وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً﴾ الإشارة إلى أهمية الأسباب التي أودعها الله تعالى في كونه، وأهمية الأخذ بها على الوجه المشروع وعدم إهمالها، مع وجوب الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فهو سبحانه خلق الأشياء بالأسباب، وهو تعالى -مع ذلك- خالق السبب والمسبب.

فمع معرفة المؤمن بأهمية الأخذ بالأسباب وعدم إهمالها، وعدم إنكارها بالكلية أو نفي تأثيرها، بل هو يأخذ بها ولا يدعها؛ -ومع هذا كله فالمؤمن يعتقد جازما أنه تعالى قد خلق الأسباب بمشيئته وقدرته، وخلق مسبباتها، وليس شيء منها يستقل بالتأثير، بل ما من سبب إلا وهو محتاج إلى أسباب أخر، وإلى انتفاء موانع، وهذا كله لا يتم إلا بتقدير الله سبحانه وخلقه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، قد أحاط بكل شيء علما.

وأما اعتقاد أن الأسباب تستقل بالتأثير بذاتها فهذا مناقض لتوحيد الله تعالى، ومعتقد هذا قد أشرك بالله سبحانه في ربوبيته، إذ جعل الأسباب خالقة لبعض ما في الكون، والآيتان في سورة الكهف وغيرها

من آيات القرآن الكريم تبطل هذا الاعتقاد الفاسد، فكل شيء بخلق الله تعالى وتقديره وبعطاء منه تبارك اسمه[٢٧].

المسألة الثانية: مشروعية الأخذ بالأسباب على الوجه الذي شرعه الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا۝٨٥﴾ الكهف.

وقال جل جلاله: ﴿...فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً۝٩٦﴾ الكهف.

هذه المسألة مكملة للمسألة السابقة: فالمؤمن مع إيمانه بأن الله تعالى خالق كل شيء، وخالق الأسباب والمسببات؛ يؤمن كذلك بمشروعية الأخذ بالأسباب، بل بوجوب الأخذ بها في أحوال عديدة.

قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ فَأَتْبَعَ﴾ ذكر المفسرون أن فيها قراءتين: (فَأَتْبَع) و(فَاتَّبَعَ)[٢٨]. وذكر طائفة منهم إلى أن القراءتين بمعنى واحد[٢٩]، ومما ذكروه في معنى الآية:

•(﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: من الأسباب التي أوتي)[٣٠].

•(وقيل: اتبع من كل شيء علما يتسبب به إلى ما يريد، وقيل: بلاغًا إلى حيث أراد، وقيل: من كل شيء يحتاج إليه الخلق، وقيل: من كل شيء تستعين به الملوك من فتح المدائن...)[٣١].

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل مَن عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به؛ حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل[٣٢].

وقوله تعالى في الآيتين التاليتين: ﴿...فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً۝٩٦﴾ الكهف.

يبين فيهما تعالى أن ذا القرنين عندما أراد أن يقيم الردم بينهم وبَيْن القوم الذين سألوه أن يحجزهم عن الإفساد في الأرض، أي: قوم يأجوج ومأجوج؛ طلب ذو القرنين من هؤلاء القوم المعونة منهم، وذلك بعمل الرجال منهم وبالآلات حتى يتمكن من إقامة الردم، ثم استخدم ما وهبه الله تعالى من الأسباب العلمية والعملية، فطلب منهم أن يحضروا له قطع الحديد، ثم أقام بناء بين الجبلين المتقابلين أو عليهما، وجعل قطع الحديد في هذا البناء، ولما وصل ما وضعه من قطع الحديد إلى أنه ساوى بين الجبلين، أي حاذى بين رؤوسهما؛ أشعل نارا عظيمة على قطع الحديد هذه، وطلب من القوم أن ينفخوا بآلات خاصة ليزداد

اشتعال النار، وليتحول الحديد إلى نار حامية، ثم أضاف عليه النحاس الذائب، فاختلط بعضه ببعض وصارا بناء صلدا عظيما لم يستطع بعد ذلك يأجوج ومأجوج أن يتجاوزوه فحُصِروا خلفه[٣٣].

وواضح من الآيتين الكريمتين استدامة أخذ ذي القرنين بالأسباب المشروعة، وذلك لا يكون إلا بعد علم ومعرفة آتاه الله تبارك اسمه إياها، وآمن هو بمشروعية الأخذ بها للوصول لمبتغاه. فقوله تعالى في بداية قصة ذي القرنين بعد أن ذكر فضل الله تعالى عليه بما أعطاه وعلمه من أسباب القوة والنصر؛ قال جل جلاله: ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴿٨٥﴾﴾ ويلاحظ في الآية استخدام حرف العطف (الفاء)، والذي هو للترتيب مع التعقيب[٣٤]، وهذا يدل على مبادرة ذي القرنين للأخذ بالأسباب التي وهبه الله إياها، والانطلاق في الأرض لنشر دعوة الحق بين الأمم الذين كانوا في عصره.

وتكرار الإشارة إلى ذلك باستخدام حرف العطف (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ -الآيتان: ٨٩ و ٩٢ من سورة الكهف- يدل على استدامة أخذ ذي القرنين بالأسباب، وتكرار الآية مع استخدام حرف العطف (ثم) في الآيتين: ٨٩ و ٩٢ الذي هو للتراخي[٣٥]؛ يمكن أن يستدل به على أن ذا القرنين كان ينوع في الأساليب التي يأخذ بها بحسب الوجهات التي سينطلق إليها وبعد نظر وتفكير، وظهر ذلك جليا واضحا عندما طُلِبَ منه بناء سدّ يحجز قوم يأجوج ومأجوج عن الإفساد في الأرض، فقام بهذا البناء العظيم، مستخدما الأساليب العلمية في معرفة خواص المواد وكيف يمكن الجمع بين مادتين تقوي إحداهما الأخرى حتى تصبح في غاية الصلابة والقوة، وهذا كله مبتدؤه عطاء الله تعالى وفضله عليه، ثم أخذه بالأسباب واستفادته منها على أحسن وجه.

المسألة الثالثة: النعم التي تنال الإنسان إنما هي بمحض عطاء الله تعالى وفضله ورحمته.

قال تعالى مبينا ما ذكره ذو القرنين عندما عرض عليه أخذ عطاء مقابل إقامة السد الذي يمنع بأمر الله تعالى إفساد يأجوج ومأجوج: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ...﴿٩٥﴾﴾ الكهف.

وقال سبحانه مبينا ما ذكره ذو القرنين بعد إتمام إقامة الردم الذي حجز يأجوج ومأجوج: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ...﴿٩٨﴾﴾ الكهف.

جاء في التفسير: قوله: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ...﴿٩٥﴾﴾ أي: (الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه)[٣٦].

وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ...﴿٩٨﴾﴾ أي: (هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الأمة ومن دون الردم؛ رحمة من ربي رحم بها مَن دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم)[٣٧].

فعبد الله الصالح ذو القرنين رغم ما كان عنده من قوة وتمكين وغلبة على الأعداء لم يصبه الغرور والتكبر، بل نجده في حالات القوة والتمكين تَذَكَّرَ وأعلن أن ذلك كله إنما هو بمحض فضل الله ومنته وكرمه.

وهذا ما يجب على المؤمن اعتقاده ومن ثم تذكره؛ أن ما به من نعمة فمن الله تعالى وحده فضلا وعطاء وإيجادا، قال جل جلاله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ۝٥٣﴾ النحل.

ثم إن هذا هو دأب الأنبياء عليهم السلام ثم الصالحين من عباد الله، فسليمان عليه السلام عندما فهم بفضل الله تعالى وتعليمه كلام النملة قال: ﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحاً تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ۝١٩﴾ النمل.

فاستحضر عليه السلام أن هذا الذي فهمه من كلام النملة إنما هو من نعم الله تعالى عليه، وسأله سبحانه أن يعينه دوما على شكرها وعلى العمل الصالح، وكذلك عندما رأى عرش سبأ قد استقر بين يديه قبل أن يرتد إليه طرفه أعلن للملأ أن هذا إنما هو بفضل الله جل جلاله وحده، وأبان مستحضرا ومعلما ومذكرا لمن حوله حقيقة أن هذه النعم إنما هي ابتلاء منه تبارك اسمه يبتلي ويختبر بها عباده، هل يشكرونها أم يكفرونها؟، والله تعالى غني عن عباده وعاقبة شكرهم وكفرهم إنما تعود عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ۝٤٠﴾ النمل.

ومن كفر النعمة نسيان فضل الله سبحانه في أنه هو واهب النعمة والمتفضل بها وموجدها، ومثال ذلك: قارون الذي جحد فضل الله تعالى وكفر بنعمة ربه جل شأنه عليه، وذلك عندما دعاه قومه إلى تذكر فضل الله تبارك اسمه عليه، وألا يطغى وألا يكون من المفسدين في الأرض، وأن يحسن في استعمال ما وهبه ربه جل شأنه، ويجعل هذه النعمة سبيلا للفوز في الدار الآخرة، مع عدم حرمان النفس في هذه الحياة من نصيبها الذي أباحه الله تعالى، فما كان من قارون إلا أن نسي أن ما فيه من نعم إنما هو من الله جل ذكره، وزعم أنه أوتيه بعلم عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ

أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ القصص.

• ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ ذكر المفسرون فيها وجهين:

الأول: أن ما فيه قارون من نعمة إنما هو بفضل علمه الخاص وجهده وعمله فقط.

الثاني: أن ما فيه من نعمة إنما هو على علم من الله تعالى أن قارون يستحق عليه سبحانه هذه النعم الدنيوية التي هو فيها(٣٨).

وعلى القولين: فقد زعم قارون جاحدا ومنكرا فضل الله سبحانه ووجوب أن يؤدي شكر النعم التي هو فيها؛ -زعم أن هذه النعم هو مستحق لها لذاته، فلا يجب عليه شيء مما طلبه قومه من الإحسان والقيام بواجب شكر تلك النعم التي هو فيها.

وما قاله قارون يتكرر لدى كل جاحد إذا أنعم الله تعالى عليه، فينسى فضله سبحانه، ويقول ما قاله قارون، قال تبارك اسمه:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ الزمر.

فالجاحد المنكر لفضل الله جل جلاله يكفر بنعمه سبحانه، ومن ثم لا يقوم نحوها بما يرضي الله جل شأنه، وينسب الفضل في حصول تلك النعم لنفسه، وعلى الضد من ذلك المؤمن المعتقد أن كل ما قد يناله إنما هو بفضل الله تعالى، فيشكر ربه سبحانه بقوله وعمله، ويلتزم ما قاله تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام بعد ذكر بعض نعم الله تبارك اسمه عليهما: ﴿...ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ.

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾ أي: (وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين)(٣٩).

المسألة الرابعة: عطاء الله تعالى هو الأكمل والأفضل عند المؤمن.

هذه المسألة مستنبطة من الآية التي ذكر تعالى فيها بيان ما قاله ذو القرنين عندما عرض عليه القوم الذين طلبوا منه بناء السد، أن يعطوه عطاء دنيويا مقابل ما سيقوم به، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ... ﴿٩٥﴾﴾ الكهف.

إن المؤمن الحق يوقن بأن ما أنعم الله تعالى به عليه هو أفضل وأكمل من أي عطاء يمكن أن يقدمه له بشر أيا كان، فعندما عُرِض على ذي القرنين عطاء دنيويا من قبل القوم الذين طلبوا منه بناء السد مقابل هذا البناء؛ أبان لهم أن ما أنعم الله تعالى به عليه ومكنه منه أفضل وأجل من أي عطاء دنيوي من قبلهم، ونظير ذلك نجده عند سليمان عليه السلام عندما جاءته هدايا مملكة سبأ، فقال كما ذكر تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ٣٦﴾ النمل.

فالمؤمن الحق قلبه متعلق بالله تعالى وحده، يؤمن به ويرضى بعطائه ولا يقدم على عطاء الله سبحانه وكرمه عطاء بشريا أيا كان.

المطلب الثالث: المسائل المتعلقة بالألوهية والعبادة.

المسألة الأولى: الله عز وجل هو وحده المشرع لا شريك له.

قال تعالى: ﴿...قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ الكهف.

سبقت الإشارة إلى الاختلاف في حال ذي القرنين هل هو مجرد ملِك صالح عدل ملهم، أم كان معه نبي، أم غير ذلك[٤٠]، ولكن على كل حال فإنه على الرغم من القوة والتمكين الذي كان لذي القرنين والأسباب التي أعطاه الله تعالى إياها، وغلبته للأقوام؛ على الرغم من ذلك كله فإنه في حكمه على الأقوام ما كان يعتمد على مجرد رأيه، بل -كما هو واضح في الآية الكريمة إنما كان حكمه على الأقوام بناء على أمر وتوجيه رباني، التزم في شأنه بما يرضي الله تعالى.

فالله سبحانه إما من باب التخيير لعلمه بذي القرنين وأحواله، أو من باب بيان وجوه الأحكام التي يشرع أن تطبق على الأقوام الذين يتغلب عليهم ذو القرنين بحسب أحوالهم[٤١]؛ ذكر جل شأنه لذي القرنين ما هي الأحكام التي يمكن أن يطبقها على القوم الذين مكنه تعالى منهم، ثم هو التزم بما أبانه تعالى له وطبقه على الوجه الأكمل.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن مسألة التشريع هي في الأساس حق لله تعالى وحده، إلا فيما أذن للعباد أن يضعوا فيه تنظيمات ضمن حدود شرع الله تعالى العامة، والتزام شرع الله جل شأنه هو جزء من عبوديته تبارك اسمه، فكما أن المؤمن يعتقد اعتقادا جازما أن مختلف أنواع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج يجب أن تكون لله سبحانه وحده؛ فهو كذلك يعتقد اعتقادا جازما أن المشرع للأحكام هو الله جل شأنه وحده، والمؤمن يعبد الله جل ذكره كذلك عندما يلتزم شرع ربه تعالى، ولا يخرج عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ١٠﴾ الشورى.

وقال تبارك اسمه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٠﴾﴾ يوسف.

وقال جل جلاله: ﴿...فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴿٥٩﴾﴾ النساء.

واعتقاد أن أحدًا من البشر له الحق بالتشريع بمجرد رأيه وهواه؛ فإن هذا الاعتقاد يهوي بصاحبه إلى دركة الشرك الأكبر بالله تعالى كما ذكر العلماء(٤٢). قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴿١٢١﴾﴾ الأنعام.

وقال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٣١﴾﴾ التوبة.

وقال جل شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢١﴾﴾ الشورى.

المسألة الثانية: إن الشرك بالله تعالى أعظم الظلم.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴿٨٧﴾﴾ الكهف.

بعد أن ذكر تعالى لذي القرنين ما الذي يقوم به تجاه القوم الذين تغلب عليهم، كما في المسألة السابقة، ذكر سبحانه في هذه الآية حُكْم ذي القرنين فيمن ظلم.

ومما ذكره المفسرون في معنى الظلم الوارد في الآية:

- (﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشرك)(٤٣).
- (والظلم(٤٤): الشرك، بقرينة قسيمه في قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾(٤٥))(٤٦).

فذو القرنين سمى المشرك ظالما، ولا شك أن الشرك ظلم عظيم، بل هو أعظم العقائد الباطلة، فقد سُئِل الرسول ﷺ: (أي الذنب أعظم عند الله)؟، قال: "أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك..." الحديث(٤٧).

فالحديث يبين لنا سبب عظم ذنب الشرك، وأنه أعظم الذنوب لما يتضمنه من الظلم العظيم، فالله سبحانه وحده المنعم المتفضل الخالق الرازق، فهو وحده المستحق للعبادة، ولكن المشرك قد نسب ذلك الفضل لغير الله سبحانه، وتوجه بالعبادة لمن لا يستحق، وهذا من الظلم العظيم، إذ قد وجه عبادته أو شيئا منها لمن لا يستحق، أو نسب أمرا لغير الله تعالى مما لا تجوز نسبته إلا له سبحانه، كالخلق والإيجاد.

وأصل الظلم: (وضع الشيء في غير موضعه)[٤٨]. وهذا المعنى ظاهر لدى المشرك، وهو ما ذكره نبي الله إبراهيم عليه السلام لقومه عندما حاجوه وخوفوه من أصنامهم وغضبها المزعوم، فقال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ۝٨٢﴾ الأنعام.

وقد أبان الرسول ﷺ أن المقصود بالظلم في آية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ۝٨٢﴾ إنما هو الشرك، وذلك عندما سأله الصحابة رضوان الله عليهم: (أينا لم يظلم نفسه)؟ فقال رسول الله ﷺ: "ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤٩])[٥٠].

فهذا كله يدل على أن من أخص أوصاف الشرك بالله تعالى أنه ظلم عظيم، وهو المعنى الذي استخدمه ذو القرنين عندما أراد أن يصف فعل المشركين فذكر واحدة من أهم وأخص الصفات لفعلهم وهي: الظلم، والتي من ثم سيستحقون عليها العقوبة العظمى في الدنيا والآخرة لعظم جرم ظلمهم.

إن ما ذكره ذو القرنين من وصف الشرك بالظلم يدل بوضوح على أن معاني الإيمان ومقتضياته ونواقضه وصفات نواقضه؛ كلها معان قد أجمعت عليها الرسالات الربانية والمؤمنون بتلك الرسالات، وهو ما سيتأكد في المسائل التالية بإذن الله تعالى[٥١].

المسألة الثالثة: إن أول دعوة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم هي الدعوة إلى: توحيد الله تعالى وعبادته وحده جل جلاله.

قال تعالى مبينا ما ذكره ذو القرنين عن الحكم الذي سيقيمه على القوم الذين تغلب عليهم: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا۝٨٨﴾ الكهف.

عندما أبان الله تعالى لذي القرنين إما أن يُعذِّب القوم الذين تغلّب عليهم أو يتخذ فيهم حُسْنًا؛ ذكر ذو القرنين أن الأمر الذي سيبني عليه حُكْمَه فيهم هو: إيمانهم بالله تعالى وحده الإيمان الحق، أو إصرارهم على الظلم والشرك به سبحانه.

وهذا يدل على أن القضية الأولى والدعوة العظمى التي حملها ذو القرنين وقام بنشرها في الأرض هي: قضية الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وعبادته وحده جل شأنه، مع بيانه لخطورة عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة، وأن السبيل الوحيد لنجاة المرء وفوزه في الآخرة، مع ما يناله من راحة وطمأنينة في الدنيا؛ إنما هو

بالإيمان بالله تعالى وحده إيمانا حقا، مع العمل الصالح الذي يقوم على أساس ذلك الإيمان(٥٢). والظاهر أن القوم الذين تغلّب عليهم ذو القرنين لم يكونوا مؤمنين بالله تعالى وحده، ومن ثم فلما أبان الله تبارك اسمه لذي القرنين ما يفعله بهم؛ لم يكن منه إلا دعوتهم للإيمان بالله تعالى، ثم ذكر ذو القرنين أن من أصر على الظلم والشرك فستناله عقوبتا الدنيا والآخرة، وأما من آمن وعمل صالحا فسينال ثواب الآخرة، وحسنة الدنيا(٥٣).

وهذا الذي حمله ذو القرنين ونشره في الأرض هو أول دعوة أنبياء الله تعالى جميعهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴿٣٦﴾﴾ النحل.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء.

وفي سورة الأعراف عندما ذكر الله عز وجل دعوات نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام؛ أبان أن أول ما كان يدعو إليه هؤلاء الأنبياء عليهم السلام هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده جل شأنه، قال تعالى في شأن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف.

وقال تبارك اسمه في شأن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٦٥﴾﴾ الأعراف.

وقال جل شأنه في شأن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ...﴿٧٣﴾﴾ الأعراف.

وقال جل جلاله في شأن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ...﴿٨٥﴾﴾ الأعراف.

فكما أن أول واجب على المكلف أن يعتقده ويعلنه ويطبقه هو توحيد الله تعالى وعبادته وحده؛ فكذلك أول واجب على الداعية للحق أن يعتقده وينشره هو وجوب البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ومن الأدلة على ذلك: أنه عندما بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل(٥٤) رضي الله عنه لليمن قال له:

"إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة..."(٥٥) الحديث.

وفي لفظ: "...فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم..."(٥٦) الحديث.

وفي لفظ: "...فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم..."(٥٧) الحديث.

فهذا الحديث بألفاظه يدل على أن الداعية إلى دين الله تعالى أول ما يجب عليه أن يبدأ بالدعوة إليه هو: تصحيح عقيدة المدعوين في الله تعالى، بأن يعرفوه ويؤمنوا به إلها واحدا لا شريك له، وأن يعتقدوا اعتقادا جازما أنه تعالى وحده المستحق للعبادة دون جميع ما سواه سبحانه(٥٨).

المسألة الرابعة: إن توحيد الله تعالى وعبادته وحده جل شانه هو الأساس والمفتاح لدخول الجنة.

هذه المسألة مستنبطة كذلك من الآيتين السابقتين في المسألة التاسعة، وهي قوله تعالى مبينا ما ذكره ذو القرنين عن الحكم الذي سيقيمه على القوم الذين تغلب عليهم: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً نُّكْراً ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴿٨٨﴾﴾ الكهف.

إن الآيتين الكريمتين تدلان بوضوح على أن توحيد الله تعالى وعبادته وحده هو الأساس والمفتاح لدخول الجنة، ومن ثم فعدمها يمنع من دخول الجنة ويكون المصير العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة(٥٩)، فهي أعظم ثواب يناله المؤمن.

لقد أكد ذو القرنين كما جاء في الآيتين الحقيقة الإيمانية الكبرى وهي: أن الأساس الأول في استحقاق دخول الجنة –بفضل الله تعالى– هو تحقيق التوحيد، وذلك بالإيمان بالله وحده ربا وإلها لا شريك له، وأكد ذو القرنين أيضا: أن من لم يتحقق بهذا الأساس فإن مصيره عند ربه سبحانه هو العذاب الشديد(٦٠).

إن اعتقاد أن الأساس الأول لدخول الجنة هو الإيمان بالله تعالى إيمانا جازما وعبادته وحده سبحانه لا شريك له، وأن هذا كذلك هو الأساس لعدم الخلود في دار العذاب؛ هو اعتقاد أجمع عليه المؤمنون بالله تبارك اسمه(٦١) ودلت عليه بوضوح أدلة عديدة موافقة لما تم استنباطه من كلام ذي القرنين، ومنها أدلة وردت في السنة النبوية، منها قوله ﷺ:

"إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة..."(٦٢). وفي لفظ: "لا يدخل الجنة إلا مؤمن..."(٦٣).

وقال ﷺ: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"(٦٤).
وفي رواية: "من إيمان"(٦٥).

وقد أبان الله تعالى في كتابه الكريم أن أعمال المشرك والكافر كلها محبطة غير مقبولة عند الله تعالى في الدار الآخرة، مادام أنها لم تقم على أساس من الإيمان بالله سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ الزمر.

وقال جل جلاله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ الفرقان.

وقد سئل الرسول ﷺ عن (ابن جدعان) وأنه كان في الجاهلية: يصل الرحم ويطعم المسكين، وهل ينفعه ذلك؟ فقال ﷺ: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"(٦٦).

وهذا كله في حكم الدار الآخرة، فمن مات على الشرك والكفر لن ينفعه في النجاة من دار العذاب ودخول دار النعيم عمل حسن عمله في دنياه.

المسألة الخامسة: لا بدّ من العمل الصالح مع الإيمان الحق للفوز بالنجاة من النار والترقي في درجات الجنة.

قال تبارك اسمه في بيان ما ذكره ذو القرنين عمن يستحق الجزاء بالحسنى يوم الدين: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨﴾ الكهف.

أبان ذو القرنين -كما في الآية الكريمة- أنه مع إعلان القوم الذين تغلب عليهم إيمانهم القلبي؛ لابد أن يقرنوا ذلك بالعمل الصالح المصدق لذلك الإيمان، حتى يفوزوا بالحسنى في الدار الآخرة، وبالمعاملة الحسنة من قبله في الدنيا.

إن الإيمان في الاصطلاح الشرعي عندما يُطْلَق فإنه يشمل العمل الصالح، وقد ذكر أئمة أهل السنة من السلف الصالح أن الإيمان قول وعمل(٦٧).

ولكن إذا اقترن ذكر العمل الصالح مع الإيمان فهو من عطف الخاص على العام لبيان عظم أهميته، وحتى لا يُظَنّ بأنه يكفي الإنسان مجرد التصديق القلبي دون أن يقترن ذلك بعمل صالح. ولا شك أن الإيمان القلبي إذا كان صادقًا راسخًا فلابد أن يظهر أثره على عمل الجوارح(٦٨). ولذلك اقترن العمل الصالح بالإيمان

في الكثير من آيات القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ الكهف.

وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ مريم.

وقوله جل شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ النساء.

فدخول الجنة وإن كان الأساس فيه هو الإيمان القلبي الصحيح، ولكن الأساس أيضا في النجاة من ورود دار العذاب والارتقاء في درجات الجنة هو العمل الصالح مع الإيمان، وكما سبق: فالإيمان القلبي الصادق الراسخ لابد أن يثمر أعمالا صالحات تظهر على الجوارح، تصدقه وتؤكده.

وقد اشتد إنكار علماء السلف الصالح على من زعم أنه لا يضر مع الإيمان معصية(٦٩)، فمن علماء السلف من اعتبر أنه ما ابتُدِع في الإسلام بدعة أضر على أهله من بدعة أصحاب هذا القول، ومنهم من ذكر أنه ليس في أهل الأهواء أخوف على الأمة من أصحاب هذا القول، ونحو هذا من الأقوال التي اشتد إنكار علماء السلف الصالح فيها على أصحاب هذا القول(٧٠). وكل هذا مما يدل على أن المؤمن الحق هو: من رسخ الإيمان في قلبه وصدقه عمل جوارحه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ الحجرات.

وإذا تدبرنا دعوات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم نجد أنهم بعد دعوتهم أقوامهم للإيمان بالله تعالى وعبادته وحده، كانوا يدعون أقوامهم إلى تقوى الله سبحانه والتخلي عن الموبقات التي كانت منتشرة بينهم، قال تعالى في شأن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ الشعراء.

وقال تبارك اسمه عن شعيب عليه السلام يخاطب قومه: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤﴾الشعراء.

وهذا الذي دعا إليه أنبياء الله جل شأنه هو الذي أبانه ذو القرنين عندما تحدث عن حال القوم الذين تغلب عليهم.

المطلب الرابع: المسائل المتعلقة بالأسماء والصفات.

المسألة الأولى: إثبات صفة علم الله تعالى الشامل وإحاطته بكل شيء.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾﴾ الكهف.

قال أهل التفسير:

•(يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علمًا، لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم شيء)[٧١].

•(أي: نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء، ... فإنه تعالى: ﴿...لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٧٢])[٧٣].

فالآية الكريمة تثبت لله تعالى صفة العلم على الوجه الذي يليق به تعالى، وأن علمه سبحانه محيط لا يخفى عليه شيء. وإثبات صفة العلم لله تعالى على ما يليق بجلاله ووجوب الإيمان بها قد ورد في عدد من آيات الكتاب العزيز وذلك بأساليب عدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿...لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴿١٢﴾﴾ الطلاق.

وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴿٤﴾﴾ الحديد.

وقوله تبارك اسمه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴿١٦﴾﴾ لقمان.

وقوله جل جلاله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴿٩﴾﴾ الرعد.

والعقل كذلك يثبت وجوب اتصاف الله تعالى بصفة العلم على ما يليق به سبحانه، إذ هي صفة كمال لا نقص فيها، ثم إنه سبحانه خالق هذا الكون ومبدعه ومقدره، ويستحيل أن يكون ذلك كله إلا ممّن اتصف بصفة العلم على أكمل وجه[٧٤].

المسألة الثانية: الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى.

هذه الصفة الربانية التي يجب الإيمان بها مستنبطة من قوله تعالى في حكاية ما قاله ذو القرنين عندما أتم بناء الردم: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ...﴿٩٨﴾﴾ الكهف.

سبق في المسألة الرابعة عشرة إيراد ما جاء في تفسير الآية الكريمة، وبيان أن بناء الردم هو من رحمات الله تعالى التي رحم بها عباده إذ حجز عنهم إفساد يأجوج ومأجوج، وفي هذا بيان إيمان ذي القرنين بصفات الله تعالى على ما يليق به، ومنها صفة الرحمة الإلهية، وهو ما يجب على كل مؤمن أن يعتقده اعتقادا جازما.

إن كتاب الكريم قد ورد فيه الكثير من الآيات المثبتة لصفة الرحمة، بل إنها قد افتتح الله تعالى بها سورة الفاتحة وهي تقرأ بعد ذلك في بداية كل سورة قرآنية ما عدا سورة التوبة، قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ الفاتحة.

فالرحمن والرحيم من أسمائه تعالى، وهما متضمنان للإثبات صفة الرحمة له تعالى على ما يليق به جل جلاله، والتي ورد إثباتها في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٤٧﴾ الأنعام.

وذكر جل شأنه أن رحمته وسعت كل شيء، وأنه سيكتبها للمتقين المؤمنين، قال تعالى: ﴿...قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦﴾ الأعراف.

وذكر سبحانه كذلك أنه كتب على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٤﴾ الأنعام.

وأمر تبارك اسمه رسولَه ﷺ أن يخبر عباده أنه جل شأنه غفور رحيم، قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ الحجر.

وفي الحديث الشريف ذكر الرسول ﷺ أن رحمته تعالى سبقت غضبه، قال ﷺ: "إن الله لما قضى الخلق؛ كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي"[٧٥].

وفي بيان عظم رحمة الله تعالى بعباده؛ قال الرسول ﷺ لأصحابه عندما رأى امرأة من السبي أخذت صبيا فأرضعته: "أَتُرَوْن هذه طارحة ولدها في النار؟"، قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[٧٦].

المطلب الخامس: المسائل المتعلقة باليوم والآخر والمعاد.

المسألة الأولى: الإيمان بالمعاد والجزاء الأخروي.

وهذه المسألة مستنبطة من قوله تعالى مبينا ما ذكره ذو القرنين عن الحكم الذي سيقيمه على القوم الذين تغلب عليهم: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ۝٨٨﴾ الكهف.

إن ذا القرنين الذي نشر دين الله تعالى فيما وصل إليه من أرجاء الأرض قد أبان -بحسب ما جاء في الآيتين الكريمتين- إلى ما سيلقاه المشرك المعاند من العقوبة الدنيوية، وكذلك ما سيلقاه هذا المشرك من الجزاء الأخروي بالعذاب الشديد الأليم، وأبان أيضا عما سيلقاه من آمن وعمل صالحا من الجزاء الأخروي في الجنة ونعميها(٧٧).

إن الإيمان بالدار الآخرة والمعاد إلى الله تعالى وما في الدار الآخرة من ثواب وعقاب؛ قد جاء بيانه في رسالات الأنبياء عليهم السلام ودعوة أتباعهم، إذ بغير الإيمان بالدار الآخرة يصبح خلق الإنسان عبثا، لا حكمة من خلقه، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ۝١١٦﴾ المؤمنون.

وبتدبر دعوات عدد من الأنبياء عليهم السلام بحسب ما وردت في كتاب الله تعالى، نجد اشتمالها على الإيمان بالدار الآخرة، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه، كما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا۝١٨﴾ نوح .

وإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ۝٨٢﴾ الشعراء.

ويدعو عليه السلام الله تبارك اسمه فيقول: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ۝٨٥﴾ الشعراء.

ويدعو كذلك قائلا: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ۝٨٩﴾ الشعراء.

والله عز وجل عندما كلّم موسى عليه السلام قال له: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ۝١٦﴾ طه.

وبعد أن ذكر جل شأنه جزاء الأشقى يوم الدين بأن يصلى النار الكبرى، وذكر فلاح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى، وذكر أن الآخرة هي خير وأبقى ختم ذلك ببيان أن هذه الحقائق وغيرها قد جاء بيانها كذلك في الصحف الربانية السابقة المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم السلام، فقال تبارك اسمه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ۝١٩﴾ الأعلى.

وفي رسالة الله تعالى الخاتمة المنزلة على رسوله محمد ﷺ ربط الله عز وجل الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في العديد من آيات كتابه الكريم، وذلك للدلالة على أهمية الإيمان باليوم الآخر، وأن الإيمان بالله جل ذكره حقًا لا يكمل إلا بالإيمان باليوم الآخر الذي يتم فيه تحقق الحكمة من خلق الإنسان في هذه الحياة، قال

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾﴾ البقرة.

المسألة الثانية: الإيمان بأشراط الساعة.

قال تعالى في حكاية ما ذكره ذو القرنين عن مصير الردم الذي بناه: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ﴿٩٨﴾﴾ الكهف.

ذكر المفسرون قولان في معنى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾:

الأول: أن المراد بوعد الله تعالى هو يوم القيامة.

الثاني: أن المراد بوعد الله سبحانه هو: الميقات الذي قدره الله تعالى لخروج يأجوج ومأجوج على البشر وما سوف يحدثونه[٧٨].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ وقُرِئَت: ﴿دَكّاًۖ﴾[٧٩] أي: مدكوكا مستويا مع وجه الأرض[٨٠].

وعلى كلا التفسيرين لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: إما يوم القيامة، أو: ما سيحصل قرب يوم القيامة من انهدام السد، ومن ثم خروج يأجوج ومأجوج الذين كانوا محصورين بسببه؛ فإن ما ذكره ذو القرنين هو في حقيقته من أشراط الساعة الكبرى[٨١]، وهو انهدام ردم ذي القرنين وخروج يأجوج ومأجوج على الناس في ذلك الوقت، وقد ذكر ذو القرنين هذا الأمر بصيغة الجزم، وهو ما يدل على يقينه بوقوع ذلك[٨٢]، أي إيمانه به، ولا يكون مثل هذا الإيمان إلا عن خبر صادق عن الله تعالى، علم به ذو القرنين وتيقن منه ومن ثم أخبر به.

وقد ورد في كتاب الله سبحانه ما يدل على أن خروج يأجوج ومأجوج سيكون عند اقتراب الساعة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ...﴿٩٧﴾﴾ الأنبياء.

وورد كذلك في القرآن الكريم أن للساعة أشراطا تدل على اقترابها، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴿١٨﴾﴾ محمد ﷺ.

وسُمِّيت بعض تلك الأشراط في القرآن الكريم بالآيات، وكذا في الحديث الشريف كما سيأتي، وذلك لما فيها من الأحداث العظام، وبعض تلك الآيات ستكون سببا لانقطاع قبول التوبة وقبول الدخول في الإيمان لمن لم يكن مؤمنا من قبل، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ...﴿١٥٨﴾﴾ الأنعام.

وقد ورد عن الرسول ﷺ عدد من الأحاديث عن خروج يأجوج ومأجوج نتيجة انهدام الردم، وما سيكون منهم من الإفساد العظيم، وكذلك بيان أن خروجهم هذا هو من الأشراط والآيات الكبرى للساعة، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ:

"لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله: أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثُر الخبث"(٨٣).

ففي الحديث دلالة على قرب انهدام الردم، ومن ثم خروج يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض.

وقال ﷺ عندما وجد الصحابة رضي الله عنهم يتذاكرون أمر الساعة: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات" فذكر: "الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"(٨٤).

ففي الحديث بيان واضح أن خروج يأجوج ومأجوج هو أحد آيات الساعة العشرة الكبرى.

وغير ذلك من الأحاديث الواردة في شأن يأجوج ومأجوج، ومنها أحاديث تبين بعضا من الإفساد الذي سيقوم به قوم يأجوج ومأجوج في الأرض عند خروجهم، وبيان أمر نهايتهم.

والخلاصة: أن قضية أشراط الساعة من الحقائق التي يجب الإيمان بها، والتي ذكرت بعض تفصيلاتها في الرسالات الربانية السابقة، وقد دل على ذلك ما ذكره ذو القرنين عن انهدام الردم، وفي الرسالة الخاتمة، رسالة نبينا محمد ﷺ؛ جاءت فيها تفصيلات عدة عن تلك الأشراط لأنها حتما ستكون مرتبطة بها.

المسألة الثالثة: الإيمان بوعد الله الحق.

جاء في آخر قصة ذي القرنين في سورة الكهف أنه عندما ذكر أن الردم الذي بناه سوف يدكه الله تعالى، وهذا عندما يحين وعد الله سبحانه، قال ذو القرنين فيما حكاه الله تعالى عنه: ﴿...وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴿٩٨﴾﴾ الكهف.

لقد ذكر ذو القرنين كما ورد في آيات سورة الكهف التي تحدثت عنه عددا من القضايا الإيمانية العقدية، وذلك ليعلن إيمانه بها، وليدعو إلى الإيمان بها بأساليب عدة، ومن هذه القضايا بيانه أن وعد الله سبحانه حق لا يمكن أن يتخلف أبدا.

وكل مؤمن بالله تبارك اسمه حقا يوقن قطعا بأن وعد الله جل شأنه كائن لا محالة، وأنه لا يختلف ولا يتبدل، فوعد الله جل ذكره هو من قوله وحديثه، وهو تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ النساء.

ويقول تبارك اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ النساء.

ويقول جل جلاله عن وعده الذي لا يتخلف: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ الزمر.

وعندما يقضي الله جل شأنه على الكافر بالعذاب الأبدي وعلى قرين السوء الذي أضله، ويحاول كلّ منهما أنْ يُلْقِي باللوم على الآخر؛ يقول لهم تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ ق.

وذكر جل شأنه أنه لا مُبَدِّل ولا مغيّر لكلماته، فهي حق وصدق، ومن كلماته: وعده الصادق الذي لا مُغير له، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ الأنعام.

وقال تبارك اسمه عن وعده الصادق لعباده المؤمنين والذي لا تبديل لكلماته سبحانه في شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ يونس.

فقول الله تعالى ووعده حق وصدق وهو سيتحقق قطعا[٨٥].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث نذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

١- أن قصص السابقين الصحيحة إنما يُعتمَد فيها على الخبر الصادق من عند الله تعالى، ثم إن ماورد منها في الكتاب والسنة الصحيحة هو من أدلة صدق الرسول ﷺ.

٢- أن القصص القرآني ومنه قصة ذي القرنين إنما هي للذكرى والعظة والاعتبار.

٣- الله جل جلاله خالق الأسباب ومسبباتها، وقد شرع لعباده الأخذ بالأسباب التي أباحها.

٤- صاحب الحق في التشريع هو الله تعالى جل جلاله.

٥- الشرك بالله تعالى من أعظم الظلم، والدعوة الأولى للأنبياء وأتباعهم كانت لنبذ الشرك وتوحيد الله تعالى وعبادته وحده، وهذا هو مفتاح الجنة، ولابد مع الإيمان القلبي من العمل الصالح للنجاة من العذاب.

٦- أن الرسالات الربانية متفقة في العقائد فلا اختلاف بينها، فجميع الرسالات الربانية حتى الرسالة الخاتمة دعت لتوحيد الله تعالى وللعمل الصالح، وللإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، على الوجه الذي يليق به سبحانه، وكذلك دعت للإيمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء، وما يسبقه من أشراط.

٧- أن النعم التي تحيط بالإنسان إنما هي بفضل الله تعالى وعطائه وإيجاده.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، من خلال تدبر المسائل العقدية المستنبطة من قصة ذي القرنين.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل وينفع به، وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

(١) انظر: الطبري؛ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن -تفسير الطبري-، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط: أولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ١٥ / ٣٦٨ - ٣٧١. و: الثعلبي؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط: أولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٦ / ١٩٠، ١٧ / ٢٤٦. و: ابن الجوزي؛ عبدالرحمن بن علي بن محمد، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: أولى: ١٤٢٢هـ: ٣ / ١٠٥. و: ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، أبو الفداء ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، تصوير: دار عالم الكتب لطبعة: دار هجر للطباعة والنشر، ط: أولى، ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م، سنة التصوير والنشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٢/ ٥٣٧. و: الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق - بيروت، ط: أولى:

١٤١٤هـ: ٣ / ٣٦٤. و: ابن عاشور؛ محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد -تفسير التحرير والتنوير-، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م: ١٦ / ١٨. و: الأشقر؛ عمر سليمان بن عبدالله الأشقر العتيبي، الرسل والرسالات، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت، و: دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت، ط: رابعة: ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م: ص: ٢٢.

(٢) وذُكِرَت رواية أخرى أن اليهود هم الذين سألوا النبي ﷺ ليختبروا صدقه. انظر: ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، أبو الفداء أبن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ثانية: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ٥ / ١٨٩.

(٣) جامع البيان؛ الطبري: ١٥ / ٣٦٨.

(٤) الرازي؛ محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبدالله فخر الدين الرازي التيمي، ابن خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: ثالثة: ١٤٢٠هـ: ٢١ / ٤٩٥.

(٥) فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٣.

(٦) ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ثالثة: ١٤١٤هـ: ١٤ / ١٠٤، مادة: (تلو).

(٧) السمرقندي؛ نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)، بحر العلوم، دون معلومات طباعة ونشر: ٢ / ٢١٢. وانظر: الواحدي؛ علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: أولى: ١٤٣٠هـ: ١٢ / ٢٥٧.

(٨) انظر: جامع البيان؛ الطبري: ١٧ / ٦٤٣. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٦ / ١٦٣.

(٩) انظر: الزمخشري؛ محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وبهامشه أربعة كتب: الانتصاف من الكشاف، لأحمد بن المنير الاسكندري، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، وحاشية محمد عليان المرزوقي، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، لمحمد عليان المرزوقي، صححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار العربي ببيروت، ط: ثالثة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، وهي طبعة معتمدة على طبعة سنة: ١٣٦٢هـ – ١٩٤٧م: ٤ / ٢٩٩. و: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير؛ الرازي: ٢٤ / ٥٣٣.

(١٠) انظر ما سبق في فقرة: ثانياً من التمهيد.

(١١) انظر: القاضي عبدالجبار؛ عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني الأسدأبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت: ٤١٥هـ)، تثبيت دلائل النبوة، الناشر: دار المصطفى – القاهرة: ١ / ٨٩ – ٩٠. و: التفسير البسيط؛ الواحدي: ١٢ / ٢٥٧. و: التفسير الكبير؛ الرازي: ١٨ / ٥١٨. و: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبدالعزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة – السعودية، ط: ثانية: ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م: ٥ / ١١٨ -١٢٢، ٣٢٢

– ٣٢٩، ٣٣٣ – ٣٣٥، ٣٨٤ – ٣٨٧، ٤٠٥. و: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، ط: أولى: ١٤٢٥هـ: ٢٠٦. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٦٩ – ٧٠.

(١٢) جامع البيان؛ الطبري: ١٤ / ١٨.

(١٣) المرجع السابق: ١ / ٩٤. وانظر: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير؛ الرازي: ٢ / ٢٦١.

(١٤) تفسير التحرير والتنوير؛ ابن عاشور: ١٦ / ٢٣.

(١٥) انظر: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: أولى: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م: ١ / ٥١٠. و: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية، ط: ثانية: ١٤١١هـ – ١٩٩١م: ٤ / ١٤، ٣٠.

(١٦) فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٣.

(١٧) المرجع السابق: الموضع نفسه.

(١٨) مفاتيح الغيب – التفسير الكبير؛ الرازي: ٢١ / ٤٩٥. وانظر: تفسير التحرير والتنوير؛ ابن عاشور: ١٦ / ٢٤.

(١٩) الفيروزأبادي؛ محمد بن يعقوب، مجد الدين الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة: ٣ / ١٦٩.

(٢٠) البداية والنهاية؛ ابن كثير: ٢ / ٥٤٤. وانظر: ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبدالله أبن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، راجعه: سليمان بن عبدالله العمير، أحمد حاج عثمان، الناشر: دار عطاءات العلم – الرياض، دار ابن حزم – بيروت، ط: ثانية: ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م: ٢ / ٢١١ – ٢١٤.

(٢١) السعدي؛ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: أولى: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ٤٨٥.

(٢٢) أي القوم الذين اشتكوا له يأجوج ومأجوج.

(٢٣) المرجع السابق: ٤٨٦.

(٢٤) ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، التدمرية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: السادسة: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م: ٢٠٩.

(٢٥) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٣ – ١٩٤.

(٢٦) تفسير التحرير والتنوير؛ ابن عاشور: ١٦ / ٢٨ – ٢٩.

(٢٧) انظر: منهاج السنة النبوية؛ ابن تيمية: ١ / ٥١٠، ٣ / ١٢ – ١٣، ٣١. و: درء تعارض العقل والنقل؛ ابن تيمية: ٤ / ١٤. و: التدمرية؛ ابن تيمية: ٢٠٩ – ٢١١. و: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية – مصر، ط: ثانية: ١٤٠٦هـ: ١ / ١٥٤ – ١٥٥، ١٧٥. و: شفاء العليل؛ ابن قيم الجوزية: ٢ / ١١١ – ١١٤.

(٢٨) انظر: القرطبي؛ محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبدالله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ثانية: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م: ١١ / ٤٨. و: أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ: ٧ / ٢٢٠. و: السمين الحلبي؛ أحمد بن يوسف بن عبدالدائم، شهاب الدين أبو العباس المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم – دمشق: ٧ / ٥٤٠.

(٢٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي: ١١ / ٤٨ – ٤٩. و: البحر المحيط؛ أبو حيان الأندلسي: ٧ / ٢٢٠.

(٣٠) الزجاج؛ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: أولى: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م: ٣ / ٣٠٨. وانظر: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي: ١١ / ٤٨.

(٣١) تفسير فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٣ – ٣٦٤.

(٣٢) تيسير الكريم المنان؛ السعدي: ٤٨٥.

(٣٣) انظر: التفسير البسيط؛ الواحدي: ١٤ / ١٤٩ – ١٥٠. و: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي: ١١ / ٦٠ – ٦٢. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٦. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٩. و: العثيمين؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، تفسير سورة الكهف، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: أولى ١٤٢٣هـ: ١٣٣ – ١٣٤. ومنهم من قال: إن القطر هو الرصاص، انظر: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٩.

(٣٤) انظر: أحمد المختار عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم الصواب اللغوي – دليل المثقف العربي، الناشر: عالم الكتب – القاهرة، ط: أولى: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م: ١ / ٤٩٦.

(٣٥) انظر: ابن الوراق؛ محمد بن عبدالله بن العباس، أبو الحسن ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر: مكتبة ابن رشد – الرياض – السعودية، ط: أولى: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ٤٤٠.

(٣٦) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٦. وانظر: مفاتيح الغيب؛ – التفسير الكبير؛ الرازي: ٢١ / ٤٩٩. و: تفسير سورة الكهف؛ العثيمين: ١٣٣.

(٣٧) جامع البيان؛ الطبري: ١٥/ ٤١٢. وانظر: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير؛ الرازي: ٢١ / ٤٩٩. وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٩.

(٣٨) انظر: جامع البيان؛ الطبري: ١٨ / ٣٢٥. و: الحليمي؛ الحسين بن الحسن بن محمد؛ أبو عبدالله الحليمي (ت: ٤٠٣هـ)، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، ط: أولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١ / ٣٢٩ - ٣٣٢. و: الكشاف؛ الزمخشري: ٤ / ١٣٣. و: المحرر الوجيز؛ ابن عطية: ٤ / ٣٠٠، ٥٣٦.

(٣٩) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٦ / ٥٠٠.

(٤٠) انظر ما سبق في التمهيد. و: زاد المسير في علم التفسير؛ ابن الجوزي: ٣ / ١٠٦. وممن أورد من المفسرين قول من ذكر احتمال أنه ملهم: ابن عطية الأندلسي، انظر: ابن عطية الأندلسي؛ عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام، أبو محمد ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: أولى: ١٤٢٢هـ: ٣ / ٥٣٩.

(٤١) انظر: التفسير البسيط؛ الواحدي: ١٤ / ١٣٤. و: المحرر الوجيز؛ ابن عطية الأندلسي: ٣ / ٥٣٩ - ٥٤٠. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٧٤

(٤٢) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٤ / ٣٩٠. و: مدحت بن حسن آل فراج،؛ أبو يوسف المصري (ت: ١٤٣٥هـ)، المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط: أولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١٣٩. و: الفوزان؛ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك: ٤٩ - ٥١.

(٤٣) زاد المسير في علم التفسير؛ ابن الجوزي: ٣ / ١٠٦.

(٤٤) أي الوارد في الآية في كلام ذي القرنين.

(٤٥) الآية ٨٨ من سورة الكهف.

(٤٦) تفسير التحرير والتنوير؛ ابن عاشور: ١٦ / ٢٧. وانظر: تفسير سورة الكهف؛ محمد بن صالح العثيمين: ١٢٧.

(٤٧) متفق عليه، واللفظ للبخاري. البخاري؛ محمد بن إسماعيل؛ أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، ط: خامسة: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ٤ / ١٦٢٦ / ح: ٤٢٠٧، ورواه في مواضع أخر، أحاديث: ٤٤٨٣، ٥٦٥٥، ٦٤٢٦،= ٦٤٦٨، ٧٠٨٢، ٧٠٩٤. و: مسلم بن الحجاج؛ أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: القاهرة: ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، تصوير: دار إحياء التراث العربي - بيروت: كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١ / ٩٠ / ح: ١٤١.

(٤٨) القاسم بن سلام بن عبدالله؛ أبو عبيد الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، الأمثال، تحقيق: عبدالحميد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، ط: أولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١٤٥، ٢٥٩. وانظر: ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبدالله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، ط: أولى: ١٣٩٧هـ: ٢ / ٨٤. و: جامع البيان؛ الطبري: ١ / ٧١٢. و: الأزهري؛ محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبدالحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع: ١٥٩.

(٤٩) آية: ١٣، سورة: لقمان.

(٥٠) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب: ما جاء في المتأولين: ٦ / ٢٥٤٢ / ح: ٦٥٣٨. وانظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه: ١ / ١١٤ / ح: ١٩٧.

(٥١) انظر: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه: محمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف — المدينة المنورة — السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ١ / ٩٧، ٣٠٥، و: ٢ / ٢٦٢.

(٥٢) سيأتي في مسألة قادمة الحديث عن مكانة العمل الصالح.

(٥٣) انظر: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٤ — ٣٦٥. و: التحرير والتنوير؛ ابن عاشور: ١٦ / ٢٧.

(٥٤) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس؛ أبو عبدالرحمن الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شهد العقبة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها، بعثه الرسول ﷺ قاضيا إلى الجند في اليمن، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، مات في طاعون عمواس سنة: ١٨هـ، رضي الله عنه وأرضاه, انظر: ابن عبدالبر؛ يوسف بن عبدالله بن محمد؛ أبو عمر ابن عبدالبر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل — بيروت، ط: أولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٢ / ١٤٠٢ — ١٤٠٧، ترجمة: ٢٤١٦. و: ابن الأثير؛ علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري؛ عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: أولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م: ٥ / ١٨٧، ترجمة: ٤٩٦٠. و: ابن حجر؛ أحمد بن علي بن محمد؛ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني= =(ت:٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط: أولى: ١٤١٥هـ: ٦ / ١٠٧ — ١٠٩، ترجمة: ٨٠٥٥.

(٥٥) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ٢ / ٥٤٤ / ح: ١٤٢٥، ورواه في كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، ٤ / ١٥٨٠ / ح: ٤٠٩٠، ورواه في مواضع أخرى: انظر: ح: ١٣٣١، ١٣٨٩، ١٤٢٥، ٢٣١٦، ٢٩٣٧. وانظر: صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ١ / ٥٠ — ٥١، ح: ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٥٦) هذا اللفظ عند البخاري، صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة: ٢ / ٥٢٩ / ح: ١٣٨٩. وهو عند مسلم أيضا: صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ١ / ٥١، ح: ٣١

(٥٧) هذا اللفظ عند البخاري، صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى: ٦ / ٢٦٨٥ / ح: ٦٩٣٧.

(٥٨) انظر: منهاج السنة النبوية؛ ابن تيمية: ٥ / ٣٤٦ – ٣٥١. و: ابن أبي العز الحنفي؛ علي ابن علاء الدين علي بن شمس الدين محمد؛ ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: عدد من العلماء، خرج أحاديثها: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٩: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ٧٧ – ٧٨.

(٥٩) وهذا في قول معظم المفسرين، انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٣. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٦٥.

(٦٠) وسيأتي في المسألة الثانية عشرة أهمية العمل الصالح.

(٦١) انظر: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، دروس مفرغة، الناشر: المكتبة الشاملة: ١٤٣١هـ: ٤٤٢.

(٦٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر: ٣ / ١١١٤ – ١١١٥، ح: ٢٨٩٧، ورواه في مواضع أخرى: ح: ٣٩٦٧، ٦٢٣٢ .وانظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة: ١ / ١٠٥ – ١٠٦، ح: ١٧٨.

(٦٣) رواه البخاري: صحيح البخاري: كتاب القدر، باب: العمل بالخواتيم: ٦ / ٢٤٣٦ / ح: ٦٢٣٢.

(٦٤) متفق عليه، واللفظ للبخاري: كتاب الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصه: ١ / ٢٤ / ح: ٤٤. وانظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: أهل الجنة منزلة فيها: ١ / ١٨٢ / ٣٢٥.

(٦٥) ذكرها البخاري في الموضع السابق نفسه من صحيحه

(٦٦) رواه مسلم في صحيحه: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل: ١ / ١٩٦ / ح: ٣٦٥.

(٦٧) انظر: الأشعري؛ علي بن إسماعيل بن إسحاق؛ أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، ط: أولى: ١٣٩٧هـ: ٢٧. و: ابن بطة؛ عبدالله بن محمد بن بطة؛ أبو عبدالله العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي، عثمان الأيوبي، يوسف الوابل، الوليد بن سيف النصر، حمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض: ٢ / ٥٥٧. و: ابن العطار؛ علي بن إبراهيم بن داود؛ أبو الحسن علاء الدين ابن العطار (ت: ٧٢٤هـ)، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق: سعد بن هليل الزويهري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط: أولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ٢٢٧ – ٢٣٥. و: ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – عمان – الأردن، ط: خامسة: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ١٣٧. و: السفاريني؛ محمد بن أحمد بن سالم؛ شمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: ثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ١ / ٤٠٥ – ٤٠٨.

(٦٨) انظر: الإيمان؛ ابن تيمية: ١٤ — ١٥، ١٥٧ — ١٦١. و: شــرح العقيدة الطحاوية؛ ابن أبي العز الحنفي: ٣٤٤ — ٣٤٥. و: الشــنقيطي؛ محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني الشــنقيطي (ت: ١٣٩٣هـــــ)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض، دار ابن حزم — بيروت، ط: خامسة: ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م: ٣ / ٢٥٠ — ٢٥٥.

(٦٩) وهم المرجئة، انظر: لوامع الأنوار البهية: ١ / ٧٢.

(٧٠) انظر: الإيمان؛ ابن تيمية: ٣٠٩.

(٧١) جامع البيان؛ الطبري: ١٥ / ٣٨٤.

(٧٢) من الآية ٥، من سورة آل عمران.

(٧٣) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٤.

(٧٤) انظر: شفاء العليل؛ ابن قيم الجوزية: ٢ / ١٠٥. و: لوامع الأنوار البهية؛ السفاريني: ١ / ١٤٥ — ١٤٦. و: ناصر بن عبدالكريم العلي العقل، شـــرح العقيدة الطحاوية، دروس صـــوتية مفرغة على موقع الشـــبكة الإســـلامية: (http://www.islamweb.net): ١٧ / ٦.

(٧٥) متفق عليه، واللفظ للبخاري: صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب: ﴿...وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ...﴾ -هود- ، ﴿...وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ -التوبة-: ٦ / ٢٠٠٧ / ح: ٦٩٨٦. ورواه بلفظ: "...إن رحمتي غلبت غضـــبي"، صحيح البخاري: كتاب بدء الخليقة، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ...﴾ -الروم-: ٣ / ١١٦٦ / ح: ٣٠٢٢. ورواه مسلم بلفظ: "...إن رحمتي تغلب غضبي"، صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: في سـعة رحمة الله تعالى وأنها سـبقت غضـبه: ٤ / ٢١٠٧ / ح: ٢٧٥١، وبعدها بلفظ: "قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي": ٤ / ٢١٠٨.

(٧٦) متفق عليه، واللفظ للبخاري: صـــحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: ٥ / ٢٢٣٥ / ح: ٥٦٥٣. ورواه مسلم: صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه: ٤ / ٢١٠٩ / ح: ٢٧٥٤.

(٧٧) انظر: زاد المســير في علم التفســير؛ ابن الجوزي: ٣ / ١٠٦ — ١٠٧. و: التحرير والتنوير؛ ابن عاشـور: ١٦ م ٢٧. و: تفسير سورة الكهف؛ ابن عثيمين: ١٢٨ — ١٢٩.

(٧٨) انظر: جامع البيان؛ الطبري: ١٥ / ٤١٢. و: البغوي؛ الحســـن بن مســـعود؛ محيي الســـنة أبو محمد البغوي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه: محمد بن عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: رابعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٥/ ٢٠٥. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٩. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٧٠.

(٧٩) انظر: معالم التنزيل؛ البغوي: ٥ / ٢٠٥. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٠٧.

(٨٠) انظر: جامع البيان؛ الطبري: ١٥ / ٤١٢. و: معالم التنزيل؛ البغوي: ٥ / ٢٠٥. و: تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير: ٥ / ١٩٩. و: فتح القدير؛ الشوكاني: ٣ / ٣٧٠.

(٨١) سيأتي قريبا الدليل على ذلك من الحديث النبوي، انظر ص: ٥٣.

(٨٢) سبق في التمهيد، ذكر الخلاف في شأن ذي القرنين وهل كان ملهما أم معه نبي أم غير ذلك، والخلاصة: أن لديه خبر عن الله تعالى قد تيقن منه.

(٨٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب: يأجوج ومأجوج: ٦ / ٢٦٠٩ / ح: ٦٧١٦، ورواه في مواضع أخرى. وانظر: صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة: ٤ / ٢٢٠٧ – ٢٢٠٨ / ح: ٢٨٨٠.

(٨٤) رواه مسلم، صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة: ٤ / ٢٢٢٥ / ح: ٢٩٠١.

(٨٥) انظر: مجموع الفتاوى؛ ابن تيمية: ١٤ / ٤٩٦ – ٤٩٨.

مراجع البحث:

القرآن الكريم.

١. الإبانة الكبرى، ابن بطة؛ عبدالله بن محمد بن بطة؛ أبو عبدالله العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، عثمان الأيوبي، يوسف الوابل، الوليد بن سيف النصر، حمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض.

٢. الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري؛ علي بن إسماعيل بن إسحاق؛ أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، ط: أولى: ١٣٩٧هـ.

٣. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دروس مفرغة، الناشر: المكتبة الشاملة: ١٤٣١هـ.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر؛ يوسف بن عبدالله بن محمد؛ أبو عمر ابن عبدالبر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط: أولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير؛ علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري؛ عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: أولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر؛ أحمد بن علي بن محمد؛ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى: ١٤١٥هـ.

٧. الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ابن العطار؛ علي بن إبراهيم بن داود؛ أبو الحسن علاء الدين ابن العطار (ت: ٧٢٤هـ)، تحقيق: سعد بن هليل الزويهري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط: أولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٨. الأمثال، القاسم بن سلام بن عبدالله؛ أبو عبيد الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: عبدالحميد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، ط: أولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩. الإيمان، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – عمان – الأردن، ط: خامسة: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠. بحر العلوم، السمرقندي؛ نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)، دون معلومات طباعة ونشر.

١١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.

١٢. البداية والنهاية، ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، أبو الفداء ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، تصوير: دار عالم الكتب لطبعة: دار هجر للطباعة والنشر، ط: أولى، ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م، سنة التصوير والنشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزأبادي؛ محمد بن يعقوب، مجد الدين الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة.

١٤. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبدالجبار؛ عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني الأسدأبادي، أبو الحسين المعتزلي (ت: ٤١٥هـ)، الناشر: دار المصطفى – القاهرة.

١٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد -تفسير التحرير والتنوير-، ابن عاشور؛ محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

١٦. التدمرية، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: السادسة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٧. التفسير البسيط، الواحدي؛ علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: أولى: ١٤٣٠هـ.

١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، أبو الفداء أبن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩. تفسير سورة الكهف، العثيمين؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: أولى ١٤٢٣هـ.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي؛ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: أولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن -تفسير الطبري-، الطبري؛ محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط: أولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي؛ محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبدالله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ثانية: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٣. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن، عبدالعزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة – السعودية، ط: ثانية: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي؛ أحمد بن يوسف بن عبدالدائم، شهاب الدين أبو العباس المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم – دمشق.

٢٥. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية، ط: ثانية: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦. الرسل والرسالات، الأشقر؛ عمر سليمان بن عبدالله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت، و: دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت، ط: رابعة: ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

٢٧. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي؛ عبدالرحمن بن علي بن محمد، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: أولى: ١٤٢٢هـ.

٢٨. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الأزهري؛ محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: مسعد عبدالحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع.

٢٩. السفاريني؛ محمد بن أحمد بن سالم؛ شمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: ثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠. شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، ط: أولى: ١٤٢٥هـ.

٣١. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي؛ علي ابن علاء الدين علي بن شمس الدين محمد؛ ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)، حققها وراجعها: عدد من العلماء، خرج أحاديثها: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٩: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢. شرح العقيدة الطحاوية، ناصر بن عبدالكريم العلي العقل، دروس صوتية مفرغة على موقع الشبكة الإسلامية: (http://www.islamweb.net).

٣٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبدالله أبن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، راجعه: سليمان بن عبدالله العمير، أحمد حاج عثمان، الناشر: دار عطاءات العلم – الرياض، دار ابن حزم – بيروت، ط: ثانية: ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.

٣٤. صحيح البخاري، البخاري؛ محمد بن إسماعيل؛ أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، ط: خامسة: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج؛ أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: القاهرة: ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، تصوير: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦. الصفدية، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية – مصر، ط: ثانية: ١٤٠٦هـ.

٣٧. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي؛ محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض، دار ابن حزم – بيروت، ط: خامسة: ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.

٣٨. عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، الفوزان؛ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان.

٣٩. علل النحو، ابن الوراق؛ محمد بن عبدالله بن العباس، أبو الحسن ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر: مكتبة ابن رشد – الرياض – السعودية، ط: أولى: **١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.**

٤٠. غريب الحديث، ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبدالله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، ط: أولى: ١٣٩٧هـ.

٤١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق – بيروت، ط: أولى: ١٤١٤هـ.

٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري؛ محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وبهامشه أربعة كتب: الانتصاف من الكشاف، لأحمد بن المنير الاسكندري، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، وحاشية محمد عليان المرزوقي، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، لمحمد عليان المرزوقي، صححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار العربي ببيروت، ط: ثالثة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، وهي طبعة معتمدة على طبعة سنة: ١٣٦٢هـ – ١٩٤٧م.

٤٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: أولى: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٤٤. لسان العرب، ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ثالثة: ١٤١٤هـ.

٤٥. مجموع الفتاوى، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه: محمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي؛ عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام، أبو محمد ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى: ١٤٢٢هـ.

٤٧. المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، مدحت بن حسن آل فراج،؛ أبو يوسف المصري (ت: ١٤٣٥هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ط: أولى: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي؛ الحسن بن مسعود؛ محيي السنة أبو محمد البغوي (ت: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد بن عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: رابعة: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٤٩. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج؛ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: أولى: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥٠. معجم الصواب اللغوي – دليل المثقف العربي، أحمد المختار عمر، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب – القاهرة، ط: أولى: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٥١. مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، الرازي؛ محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبدالله فخر الدين الرازي التيمي، ابن خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: ثالثة: ١٤٢٠هـ.

٥٢. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: أولى: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٥٣. المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي؛ الحسين بن الحسن بن محمد؛ أبو عبدالله الحليمي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، ط: أولى: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.